عرض لأهدى مشاكل الأدب الانكليزى

هل ألّف شكسبير رواياته ؟

بقلم جريس القسوس

أخى ح . ش .

كتبت إلىّ تسألنى أن أجلو لك حقيقة هذا النابغة ، الذى على سعة شهرته وذيوع اسمه فى مختلف الأزمان والبلدان ، مازال مبهم الشخصية ، مجهول الهوية ؛ وما فتئ الكثيرون من الأدباء فى انكلترا وفى أمريكا يرتابون فى أمر تأليفه الروايات المنسوبة إليه ؛ فتراهم فى كل حين يكتشفون لها مؤلفاً جديداً غير شكسبير ، مؤيدين آراءهم بأقطع البراهين وأقواها

ولقد بلغت هذه المسألة من الأهمية وخطورة الشأن ما جعل الأدباء ينقسمون إلى مدرستين ، الأولى تنتصر لشكسبير وتعضده وتعرف هذه بمدرسة مستقيمى الرأى (أورثوذكس) بينما الثانية وهى اللاستراتفوردية Anti - Stratfordian ـ نسبة إلى ستراتفورد قرية شكسبير ومسقط رأسه ـ تجرّده من كلّ صبغة أدبية ، وتتهمه بضعف الارادة والجهل ، فهى لا تودّ أن تنسب هذه المؤلفات الرائعة إلى امرئ كشكسبير وضيع النسب ، نشأ نشأة الوضعاء من عامة البشر ، فلم يلتحق بمعهد عال أو يتفقّه على مدرّب كبير

إنه لمن العار بل من الحرام ـ على رأيهم ـ أن تنشأ العبقرية فى الأكواخ ؛ وإنه لمن الشائن المزرى إذن أن تعزى هذه الروايات على ما فيها من روعة وجلال إلى شكسبير العامى القروى . فى ذلك يتفق أصحاب هذه المدرسة ، غير أنهم يختلفون فى أمر مؤلفها

أما أوّل الأدباء الذين نسب إليهم تأليف روايات شكسبير فرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) الفيلسوف الانكليزى الشهير ، وأوّل واضع أسس النظرية البيكونية Baconian Theory ؛ فهربرت لورانس Herbart L'awrence ، إذ ألّف سنة ١٧٦٩ كتاباً سماه (مجازفات فى الذوق السليم) Adventures in Common Sense ؛ بيد أن هذه الآراء لم تثر اهتمام الأدباء ولم تحرك لهم ساكناً مدة نصف قرن أو أكثر . بعد ذلك لقيت لها أنصاراً عضدوها بالمؤلفات العديدة ، منهم ج . س . هارت J. C. Hart فى كتاب ألفّه سنة ١٨٤٨ ، وفى مقالة موضوعها « من ألف روايات شكسبير ؟ » نشرت فى التشمبرز جورنال Chambers' Journal ؛ ومنهم و . هـ . سمث فى رسالة بعث بها الى لورد اليسمير Ellesmere موضوعها « هل ألّف بيكون روايات شكسبير ؟ » ومنهم أيضاً الكاتبة ديليا بيكون Delia Bacon فى كتاب اسمه « كشف القناع عن فلسفة روايات شكسبير » « The philosophy of the plays of Shakespeare identified »

وقد ظهر مؤخراً غير هؤلاء فى انكلترا وفى أمريكا كاللورد بنزانس وسر . ت . مارتن ، وج . قرينود وغيرهم من مشاهير الأدباء وكبار النقدة ممن عززوا النظرية البيكونية ، وحملوا على شكسبير حملة كادت أن تمحو اسمه محواً ؛ وتدحر جيش أنصاره دحراً

ويبنى معظم أنصار بيكون حجتهم على النقط التالية :

(١) إن سر توبى ماثيوس Sir Tobie Mathews بعث سنة ١٦٢١ برسالة إلى بيكون يمتدحه فيها ويعدّه « أنبغ من أنجبت انكلترا ، ومن عاش على هذا الجانب من البحر ، فى العصر الحاضر »

(٢) إن فى روايات شكسبير بعض فقرات ومفردات تدل على تبحر مؤلفها فى العلم وتعمقه فى الفلسفة والقانون مما لا يمكن أن يعزى إلى شكسبير كما يظهر فى ترجمة حياته المعروفة

(٣) إن فى روايات شكسبير مشاهد وأبياتاً تشهد بأن ناظم عقدها أرستقراطى النزعة والنشأة . مثالُ ذلك أنه : يسخر بالرعاع ، ويزدرى عامة البشر فى كلّ من « يوليوس قيصر » و « كور يولانس » سخرية وازدراء لا يمكن أن يصدرا من شكسبير القروى الوضيع النسب ، إن ذلك إلا مظهرٌ عن مظاهر نبذ الأرستقراطية للعامة وكراهيتها لها ، واعتزازها برجالها ، وفى مقدمتهم بيكون

(٤) أما آخر هذه البراهين ، والذى عليه يبنى جميع خصوم شكسبير ، على اختلاف أشخاصهم ، آراءهم واعتقادهم الراسخ فى

أن شكسبير على مافى نسبه من ضعة ، وفى نشأته من حقارة ، وفى علمه من نقص ، وفى خلقه من مغمز ، وفى حياته من غموض وإبهام ، لا يمكن أن يكون مؤلف تلك الروايات الخالدة ، التى تشهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ، ونبوغ هو فوق كل نبوغ ، كيف يمكن هذا ، ما دام هناك بيكون الفيلسوف الكبير ، والنابغة الفذ الذى شغل أهل زمانه ، وملأ أسماعهم وأبصارهم ؟

ويأخذ أنصار شكسبير هذه الحجج ويفندونها واحدة واحدة . فيقولون — مثلاً فى الرد على الحجة الأولى إن (سر توبى ماتيوس) لم يعن فى رسالته بيكون الفيلسوف ، وإنما عنى راهباً يسوعياً آخر اسمه طوماس ساوزويل Thomas Southwell كان يعرف بلقب بيكون . مع كل هذا يرى أنصار شكسبير — مسلمين جدلاً بأن سر توبى يعنى الفيلسوف بيكون — أن ليس فى هذا مايدل كل الدلالة على أن بيكون إنما هو مؤلف روايات شكسبير . إن هى إلا العاطفة ، عاطفة الصداقة العمياء هذه ذات التعميمات والأحكام الجارفة

أما فيما يخص الأشعار فليس فى البقية الباقية من شعر الفيلسوف بيكون مايدل على أنه شاعر بالمعنى الصحيح ؛ ذلك الشاعر الفذ الذى يمكن أن يُعزى إليه نظم تلك القطع الرائعة التى تتخلل معظم رواياته وخاصة الأخيرة منها

هذا أما للمفردات أو الفقرات العديدة الواردة فى روايات شكسبير والدالة على تبصر فى العلم وتبحر فى الفلسفة والقانون والمام بأغلب الفنون فلم تكن مقصورة على شكسبير أو على بيكون وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين فى عصر اليصابات وبالأخص الأخير منه . إذ شاع فيه التقليد والنسج على منوال الأولين . فالذى يجوز لنا الارتياب فى أمر تأليف شكسبير لهذه الروايات على هذا الأساس الواهى ، يجوز لنا أيضاً الاشتباه فى غيرهم من الكتاب والشعراء

وعلاوة على هذا يرى أنصار شكسبير ان ليس فى هذه الروايات مايدل على الماء واسع بالعلوم والفنون أو تعمق فى الفلسفة والقانون ، إلماماً وتعمقاً يصح معهما أن ينسب تأليفها الى بيكون صاحب النظريات الفلسفية الخالدة والنثر الأدبى الرائع

أما القول بأن مؤلف هذه الروايات لا بد أن يكون ارستقراطى النسب والنزعة كما يظهر من شعوره نحو الرعاع وخصوصاً فى « يوليوس قيصر » و « كور يولانوس » فليس بالقول الذى يُعتمد عليه فى بنيان مثل هذه النظرية وتحقيقها . إذ ما روايات شكسبير إلا مملكة كبيرة ، فيها الملوك والنبلاء ، والرعاع والعلماء ، وفيها الجنود والصناع ، والأرواح والآلهة ، كل منهم يفكر ويقول ويعمل حسب طبيعته ونزعته ، وعلى قدر قوته ومعرفته ، غير مقيد برأى الشاعر أو عقيدته الخاصة . بذا يمتاز شكسبير عن (برونتج) خاصة وعن باقى الشعراء والكتاب عامة . فما الرعاع فى الحقيقة إلا من هذا البشر الذى توخى شكسبير فى تصوير طبيعته ونفسيته الصدق والعدل

هذا بعض مما يقوله أنصار شكسبير فى الرد على خصومه ، غير أنهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يوردون الحجج الايجابية الدامغة التى تؤيد آراءهم كل التأييد . من ذلك قولهم إن حياة شكسبير ليست محاطة بالابهام كما يظن خصومه . فلو استعرضنا تراجم معاصريه من الأدباء لألفينا فى جميعها — اللهم إلا من اتصل منهم بالسياسة أو القانون وكان له فيها شأن كبير — غموضاً وابهاماً يساويان ، ان لم يزيدا ، ما فى ترجمة حياة شكسبير من غموض وابهام

ويرى أنصار شكسبير أيضاً أن لديهم تقارير عديدة تدل على اتصال الشاعر بالمسرح وانشغاله بأموره مدة ليست باليسيرة . وفى بعض رواياته نلمح مايدل على إلمام الشاعر بفن المسرح ودقائقه . يحضرنا من ذلك — على سبيل التمثيل — ما جاء على لسان هملت فى تلقينه الغلمان سبل الالقاء والتمثيل تلقيناً يشهد له — أى لشكسبير — بطول الباع فى هذا الفن . وليس فى ترجمة حياة بيكون الضافية ، مايدل على ولوعه بالتمثيل أو كلفه بالمسرح .

أما ادعاء خصوم شكسبير أن مافى رواياته من مفردات فى القانون ، يكفل لبيكون — وهو بالطبع قانونى — تأليفه الروايات لحجة واهية ، من السهل دحضها . فقد كانت لندن فى عصر اليصابات تكتظ بطلاب الحقوق هواة المسرح ، فكان لشكسبير فى ذلك فرصة سانحة لمجالستهم والاستماع الى أحاديثهم التى تدور ، فى أغلب الأحيان ، حول القانون . هذا عدا تجاربه واختباراته فى هذا الفرع كابن أحد الملاك أو التجار

ومن البيّنات الواضحة التي يعتمدها أنصار شكسبير في الردّ على خصومه ، ورود اسم شكسبير مع التعليق على فنه في بعض النسخ الأولى من رواياته مفردةً Quartoes ومجموعة First Folio وفي مجموعة صونيتاته Sonnets ومذكرات معاصريه ، وخاصةً فرنسيس ميرز Francis Meres في كتابه « بلادس تيميا Palladis Tamia » وروبرت جرين Robert Green في تهكمه اللاذع على شكسبير ، وفي قصيدة بن جونسون « Ben Jonson » التي فيها يخلّد « وزّة أڤون Swine of Avon »

وقد ظهر مؤخراً غير يسكون مرشّحون آخرون لروايات شكسبير ، منهم «لورد رتلند الخامس عشر Lord Rutland 15th» ومنهم كونت دربي Derby ولكن أحدثهم ظهوراً وأشدّهم خطراً على الممثل الستراتفوردي ديڤر ايرل اوف اوكسفورد السابع عشر . فقد وضع ج . طوماس لونلي Loonly سنة ١٩٢٠ كتاباً في هذا الموضوع سمّاه « إثبات شخصية شكسبير في دي ڤير ايرل أوف أوكسفورد » « Shakespeare identified in Edward De vere the 17th Earl of Oxford »

وآخر كتاب ظهر في هذا الموضوع هو لمونتاجو دوجلاس Montagu Douglas رئيس جمعية أدبية (١) أخذت على نفسها معاضدة دي ڤير ودحض آراء أنصار شكسبير . فقد وضع كتاب « ايرل أوف أوكسفورد لشكسبير The Earl of Oxford as Shakespeare. » وهو يجمع باختصار كل ما يمكن أن يقال في هذا الأديب كمؤلف للروايات المنسوبة لشكسبير

أما النظرية الشيخزيرية (٢) فما هي في الحقيقة بنظرية ، وإنما هي خرافة أكبر عامل في خلقها التشابه الظاهر بين اسمي الشيخ زبير وشكسبير . ليس هذا فحسب ، بل إن علاقة شكسبير الغرامية مع « السيدة السمراء » « The Dark Lady » ، ويظن بعضهم أنها مصرية ـ وحبه للخيول وخاصة خيول رواد المسرح وما في رواياته من امتداح لجزيرة العرب وتغنٍّ بسمائها وطيرها « فونكس Phoenix » وزهرها وشجرها ، كل هذه بعض من الشواهد التي قد يتخذها هواة النظريات أساساً للنظرية الشيخزيرية

ولقد غرب عن بالي أن أذكر لك أن من الأدباء من يعزو إلى شكسبير تأليف نحو أربعين رواية أخرى ، ومنهم من يرى أن شكسبير لم يؤلف كل رواياته ، بل شاركه في ذلك كتّاب آخرون كبيمونت وفليتشر ، وخاصة في « تيطس اندرونيكس » وثلاثة أجزاء : « هنري السادس » ، و « تيمون أثينا » ، و « بيركليس » ، و « هنري الثامن »

هذا عرضٌ موجز لما يمكن أن أخبرك به في هذا الموضوع ، ولا أنكر عليك أنني بعد دراسة حجج الفريقين وتمحيصها بكل دقة — أراني ميالاً كل الميل إلى المدرسة الستراتفوردية . ولا أشك في أن النجاح سيحالفها ، مهما وُجّه إليها من نقد لاذع ، ولشكسبير من تهم هو بريء منها

الكرك : شرق الأردن — عيسى القسوس

مصادر المقال

1. Neilson and Thorndike's The Facts about Shakespeare
2. Harvey's Oxford Companion to Eng Literature
3. Prof. Byron Smith's Lectures on Shakespeare
4. Douglas' M. W. The Earl of Oxford as Shakespeare
5. The Encyclopedia Britanica, (Shakespeare)
6. J. Qusus' Shakespeare and Sheik Zubeir

الدليل العراقي

موسوعة سنوية عن المملكة العراقية والبلاد العربية المجاورة

يصدر باللغتين العربية والانجليزية

محل دكتور للطبع والنشر

تحت إشراف

وزارة الداخلية العراقية

الإدارة : شارع المأمون ٣٢/١١

بغداد - العراق

(١) Shaheapearean Fellowship

(٢) نسبة إلى الشيخ زبير